فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

سلسلة "يُحِبهم ويُحِبونه"

سادات المتواضعين

لفضيلة الشيخ: مسعد أنــور

رابـط الــمادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-27905.htm

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وأزواجه وأصحابه وأتباعه ومَن والاه. أما بعد..

إخوتي في الله، أخواتي في الله إني أحبكم في الله، والله أسأل أن يجعلني وإياكم من الذين قال الله فيهم يحبهم ويحبونه "فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ" المائدة: ٥٤

أحبتي في الله هذا هو لقاؤنا الرابع في هذه السلسلة المباركة وجعلته تحت عنوان "سادات المتواضعين".

صفات المؤمنين

يقول الله عز وجل "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ المائدة: ٥٤

ما هي صفاتهم يا رب العالمين "أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" المائدة: ٥٤

قال الإمام بن كثير رحمه الله تعالى وهذه هي صفات المؤمنين الكُمَّل، يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه، مُتعززًا على خصمه وعدوه.

وقال عطاء رحمه الله تعالى "إن المؤمنين مع بعضهم كالوالد لولده وعلى الكافرين كالسبع على فريسته" كما وصفهم رب العالمين بقوله "أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ" الفتح: ٢٩

ذكرنا في اللقاء الماضي بعض الآيات التي تكلمت عن المتواضعين وبعض الأوسمة والنياشين التي فاز بها المتواضعون ثم وقفنا عند تعريف التواضع.

ما هو التواضع؟

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى "التواضع أن تخرج من بيتك فلا تلقى مسلمًا إلا رأيت له عليك فضلاً" إنك تستشعر في قلبك أن كل المسلمين خيرٌ منك إذا رأيت الكبير قلت هذا عرف الله قبلي، إذا رأيت الصغير قلت هذا أقل ذنبًا مني، أنا اقترفت من الذنوب أكثر منه، ترى للكل عليك فضلاً، توقر الكبير وتعطف وترحم على الصغير.

وقال الجُنيد: "التواضع هو خفض الجناح ولين الجانب".

وقال الفضيل بن عياض: "التواضع هو أن تخضع للحق وتنقاد للحق وتقبل الحق من أي أحدٍ قاله"

نماذج من سادات المتواضعين:

سيد المتواضعين على الإطلاق.. محمد صلى الله عليه وسلم

بل هو سيدٌ ورأسٌ في كل خُلق حميد في كل أدب عالي – صلى الله عليه وسلم – امتدحه ربه عز وجل فقال "وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ" القلم: ٤

من أخلاق النبوة التواضع، سيد المتواضعين رسول الله محمد – صلى الله عليه وسلم – كان يتواضع لربه عز وجل استمع إلى ما رواه الإمام أحمد و ألبزار وأبو يعلي عن أبي هريرة رضي الله عنه وعن جميع الصحابة قال: "جلس جبريل إلى النبي فنظر إلى السماء، فإذا مَلَك ينزل، فقال له جبريل: هذا الملَك ما نزل منذ خُلق قبل هذه الساعة، هذا الملَك من يوم أن خلقه الله لم ينزل من السماء إلا الآن "فلما نزل قال: يا محمد" اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد..

"قال يا محمد أرسَلَني إليك ربك؛ أَمَلِكًا جعلك، أم عبدًا رسولاً؟ يخيرك يجعلك ملِك ونبي مثل سليمان، مثل داود؟ أم يجعلك عبدًا ورسولاً مثل عيسي عليه السلام، مثل موسى عليه السلام، مثل إبراهيم عليه السلام؟ أي ملِك نبي أم عبدًا رسولاً؟ قال له جبريل: تواضَع لربك يا محمد، فقال رسول الله: لا بل عبدًا رسولاً" صححه الألباني

من تواضعه لربه انقياده لأمر الله عز وجل، النبي هو أطوع ولد آدم لله، ما عصى لله أمرًا، بل ما ارتكب حرامًا حتى بعثته، ما شَرِبَ الخمر قط، ما زنى أبدًا، ما لعب الميسر أبدًا، ما أكل درهم من ربا أبدًا أبدًا، ما انحنى عوده إلّا لله دائمًا وأبدًا صلى الله عليه وسلم.

تواضعه صلى الله عليه وسلم مع الناس

أما تواضعه للناس فهو عجيب، عجيب، عجيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله" صححه الألباني

يقول لا تبالغوا في مدحي لا تمدحوني بما ليس في، أنا عبدٌ قولوا عني عبد، أنا رسول الله قولوا عني رسول.

وروى الإمام أحمد في المسند والحديث صحيح صححه الألباني رحمه الله تعالى عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال يا محمد أنت سيدنا وابن سيدنا، أنت خيرنا وبن خيرنا فقال النبي المتواضع صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينَّكم الشيطان، أنا محمدٌ بن عبد الله ورسوله فما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلنيها ربي عز وجل" صححه الألباني سيد المتواضعين.

من تواضعه مع الناس صلى الله عليه وسلم أنه كان يمر على الصبيان فيُسلِّم عليهم صلى الله عليه وسلم،كان يأتي ضعفاء المُسلمين ويزورهم ،كان يعود الفقراء من مرضى المسلمين، كان يشهد الجنائز، كان يُردِف خلفه ولكم قرأنا

في الأحاديث وكنت رديف النبي يقول بن عباس: كُنت رديف النبي فالتفت إليّ فقال "يا غُلام احفظ الله يحفظك" صححه الألباني

يقول معاذ في حديث آخر كنت رديف النبي فقال: "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، أتدري ما حقهم عليه؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يعذبهم" صحيح البخاري

يُردف خلفه على البغلة، على الحمار، على الناقة وهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم، ويركب الحمار ويجيب دعوة المملوك ويخسف نعله بنفسه رسول الله صلى الله عليه وسلم يرُم النعل ويلبس النعل القديم البالي اللبِيس المُمزق ويرُمُّه ويُرقّع القميص، يلبس القميص المُرقَّع، هذا من تواضعه ويلبس الصوف.

تواضعه صلى الله عليه وسلم مع آل بيته

وفي بيته كان في مهنة أهله كما تقول عائشة رضي الله عنها يكُم البيت النبي محمد يكنس البيت بنفسه أي تواضع يخسف النعل بنفسه أي تواضع يرُقع الثياب بنفسه أي تواضع النبي عنده تسعه من الزوجات كان من الممكن أن يُعطي القميص لعائشة أو يُعطي النعل لحفصة ويأمر صفيه بكنس البيت ويأمر زينب بعجن ويأمر ، ويأمر ،ويأمر متواضع صلى الله عليه وسلم يفلِ ثوبه يكُم البيت يخسف النعل يرقع القميص هذا

تواضعه صلى الله عليه وسلم في قبوله الهدايا

يقبل الهدية مهما كانت قيمتها في قمة الدناءة، بمعنى بلا قيمة إذا أهدى له أحدهم عود ريحان فرح جدًا وقال إن الريحان من نبات الجنة، عود ريحان تخيل! هذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم.

يقول والحديث في البخاري "لو دعيت إلى كراع لأجبت، ولو أهدي إلي كراع لقبلت" تخيل لو أنك أعطيت أحدًا هديه تُعطي له كراع ، كراع الشاة سوف يُلقيها في وجهك يقول لك تشمرت وأتيت كراع، وآخر يدعوك على كراع الشاة هل هذه وليمة؟

النبي المتواضع لو أُهدي إليه عود من سواك لقبله وفرح به وشكر المُهدي لو دُعي إلى كراع لأجاب ولو أُهدي إليه كراع لقبل، سيد المتواضعين .

كان يكره أن يقوم أحد له ويقول: "من أَحَب أن يتمثل له الناس قياما، فليتبوأ مقعده من النار" صححه الألباني

لم يكن مميز عن الصحابة بشارة أو بتاج أو بوسام أو بالنجوم أبدًا، أبدًا.

لما هاجر إلى المدينة قام الصديق وجلس النبي فأظل الصديق على رأس النبي حتى يعرف الناس أن هذا هو النبي صلى الله عليه وسلم متواضع جدًا، جدًا صلى الله عليه وسلم سيد المتواضعين، والله يحب المتواضعين.

قال "مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ" المائدة: ٥٤

ما هي صفات الذين تحبهم يا رب "أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" ليِّنين، سهلين، قريبين، متواضعين، لا ينتفشون، لا ينتفخون

لايشمخون بأنوفهم على إخوانهم من أجل أموالهم أو مراكزهم أو كراسيهم أو أحسابهم أو أنسابهم أو عافيتهم هؤلاء يحبهم الله.

الصدِّيق رضي الله عنه رأسٌ في التواضع

روى الإمام أحمد في الزُهد أن الصدِّيق رضي الله عنه قال: "وددت أني شعرةٌ في جنب عبد مؤمن" أبو بكر يقول يا ليتني شعرة في جنب واحدٍ مؤمن، وهو أبو بكر أفضل من وطأ الأرض بعد الأنبياء والمُرسلين.

النبي كان يراه هو وعمر يقول "هذان السمع والبصر" صححه الألباني هذان من الدين كالسمع والبصر أبو بكر الصديق هذه القمة السابقة، هذا الطود الشامخ، هذا الجبل العالي رضي الله عنه.

من تواضعه أنه كان يذهب إلى خيمة امرأة عجوز يخدمها، يقول عمر: ذهبت إلى العجوز فوجدت أن طعامها قد أُعدّ وأن الخيمة قد نُظِّفت وأن الثياب قد غُسِلت، فقلت مَن يصنع هذا لكِ يا أَمة الله؟ قالت: رجلٌ أقسم عليَّ ألّا أُخبر أحدًا عنه، قال عمر: فصليت الفجر واختبأت قريبًا من الخيمة، وإذا الذي خرج منها خليفة رسول الله أبو بكر وقد كنس الخيمة وغسل ثوب العجوز العمياء وعجن عجينها وخبز خُبزها.

أي تواضع يا أبا بكر، أي تواضع يا أبا بكر، لما نزل به الموت قالوا في أي شيء نُكفِّنُك يا خليفة رسول الله؟ قال كفنوني في ثوبَيّ هذين إنما هما للمُهلة، والجديد أولى به الحي، أي تواضع.. يقول كفنوني في ثيابي، الجديد أولى به الحي، هذا الكفن للمُهلة، للقِيح والصديد الذي يخرج من جسامين الأموات.

تواضع حتى في موته اللهم ارض عنك يا أبا بكر رِفعة في الحياة وفي الممات بحق الله أنت إحدى المَكرُمات اللهم أشهدُك أنّا نحبه، اللهُم احشُرنا معه يا رب.

الفاروق عمر جبلٌ في التواضع

هو الذي صرخ في أبي عُبيده بكلمة حفظها الدهر ورواها الرواة "لقد كنا أذله فأعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزةَ في غير الإسلام أذلنا الله".

روى بن سعد في طبقاته عن محمد بن عمر المخزومي عن أبيه رحمه الله قال: نادي عمر بن الخطاب الصلاة جامعة الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس وكثروا في المسجد صعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال وهو يومئذٍ يحكُم نصف الكره الأرضية هزم قيصر وكسرى يقول: يا أيها الناس لقد رأيتني أرعى على خالاتٍ لي من بني مخزوم فيقبضن لي القبضة من التمر والزبيب فأظل يومي وأي يوم ثم نزل يقول يا إ خوني إني كنت مسكين، إني كنت معدوم الحال، كنت أرعى الأغنام لبعض خالاتي، يوم بأكمله أرعى في الشمس في تعب وفي كد وفي نصَب والأجر قبضة تمر، قبضة زبيب، كنت مسكين جدًا ثمُ نزل فقال عبد الرحمن يا أمير ما زدت على أن قمَّأت نفسك أنت جمعت الناس من أجل أن تُحقر من نفسك جمعت الناس كي تحط من شأنك لماذا فعلت ذلك؟ قال ويحك يا بن عوف إني خلوت بنفسي فحدثتني فقالت أنت أمير المؤمنين فمن ذا

أفضل منك فأردت أن أعرفها نفسها" يا الله على التواضع هل تعلمون ثوب سيدنا عمر كان به كم رُقعة ١٨ رُقعة وهو الذي يحكم نصف الكرة الأرضية وهو الذي يُزلزل اسمه عرش قيصر وعرش كسرى.

ذكر بن القيم في مد ارج السالكين حادثة عجيبة بالله العظيم تجعل شعرك يقف وتترضى على الفاروق عمر قال: قسَّم عُمر رضي الله عنه حللاً بين أصحابه فبعث بواحدة إلى مُعاذ بن جبل أهدى لهُ حُلة ثمينة فباعها مُعاذ واشترى بثمنها ستةً من العبيد وأعتقهم" تُرى الحُلة كم تساوي؟ باعها مُعاذ، اشترى بثمنها ستة عبيد وأعتقهم..
فبلغ ذلك عُمر فبعث إليه بعد في مناسبة أخرى بحلة دونها فعاتبه معاذ وقال لماذا بَعثت لي بحلة دون الأولى؟ فقال عمر لأنك بعت الأولى، فقال معاذ وما عليك؟ بمعنى ما لكَ أنت؟ هذا حقي هذه أموال الأمة أعطي لي نصيبي لقد حلفت لأضربن بهذه الحُلة رأسك، هو يكلم أمير المؤمنين هذه الحُلة أني حلفت في ساعة غضب لأضربن بهذه الحُلة رأسك فضحك عُمر وقال رأسي بين يديك وقد يرفق الشاب بالشيخ يا الله على عمر اللهم ارض عن عمر، رأسي بين يديك وقد يرفق الشاب بالشيخ.

عبد الله بن مسعود نموذج للعالِم المتواضع

لأنه قد يتكبَّر الإنسان بسبب عِلمه فينتفخ على إخوانه ويرى أن الكل دونه ويقول أنا، أنا.
بن مسعود عالم محترم متواضع، والعالِم المتواضع له أمارات منها أنه يملُك الجرأة إذا سُئل ولا يعلم فيقول لا أدري صار قوم خلف بن مسعود يومًا فنظر إليهم غاضبًا وقال لهم: "ارجعوا فإنها فتنةٌ للمتبوع وذلةٌ للتابع".

تواضع سلمان الفارسي

قال الفُضيل بن عياض "رأيت على سلمان جبة من صوف قديمة رخيصة فقيل له لو لبست ما هو ألين منها فقال إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد فإذا أعتقت في الآخرة للبست ثيابًا لا تُبلى حواشيها" ذكره بن أبي الدنيا في التواضع والخمول.
الكلام عن سادات المتواضعين كثير، كثير، أسأل الله عز وجل أن يجعلنا أذلة على المؤمنين، أن يجعلنا ليِّنين، سهلين، قريبين، متواضعين، أن يجعلنا من الذين يحبهم ويحبونه.
أحبكُم في الله، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.
والسلام عليكم ورحمة الله.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36